الفصل الثانى

سلمان فى مرحلته المسيحية
سلمان راهب فى صحبة الرُّهبان

- سلمان والراهب الذى يأكل أموال الناس بالباطل
- سلمان ورهبان صالحون
- دمشق - الموصل - نصيبين - عمورية
- علامات النبى ﷺ
- البشارة بالنبى ﷺ
- الخلافات المذهبية فى المسيحية
- حيرة سلمان
- المسيحية فى بلاد فارس
- خروج هِرَقل على الشريعة
- تسابيح
- ملحق الفصل: عرض لدراسة أعدها ج. ديفز عالم اللاهوت عن الكنيسة الأولى.

تحوَّل سلمان إلى النصرانية كما قرأنا على لسانه فى الفصل السَّابق، ولنسمع كلماته البسيطة الموجزة ننقلها للقارئ كما رواها ابن إسحاق وقدمها لنا ابن هشام، ثم نتدبَّر معانيها شارحين ومفصِّلين: «دخلت معه (أى مع أسقف الكنيسه بالشام، ولم يذكر سلمان اسمه ولا اسم كنيسته) وكان هذا الأسقف رجل سوء، يأمرهم بالصَّدقة ويرَّغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئًا منها اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سَبْع قلال من ذهب وَوَرَق (فضة) فأبغضتُه بغضًا شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات (أى هذا الأسقف) فاجتمَعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إنَّ هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصّدقة ويرغّبكم فيها، فإذا جئتموه بها، اكتنزها لنفسه ولم يُعط المساكين منها شيئًا فقالوا لى: وما علمك بذلك؟ فقلت لهم: أنا أدلكم على كنزه. قالوا فَدُلَّنا عليه. فأريتهم موضعه، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبًا ووَرقًا (فضة) فلما رأوها قالوا: والله لاندفنه أبدًا. فصلبوه ورموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه (أى جعلوه أسقفًا)، فما رأيتُ رجلاً لايصلى الخمسَ أرى أنه كان أفضل منه وأزهد فى الدنيا ولا أرغبَ فى الآخرة، ولا أدْأب ليلاً ولا نهاراً منه، فأحببتُه حبّا لم أحبه لأحد قبله. . فأقمت معه زمنًا، ثم حضرته الوفاة فقلت له: يا فلان، إنى قد كنت معك وأحببتك حبّا لم أحبه شيئًا قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصى بى؟ وبم تأمرنى؟. قال: أى بنى، والله ما أعلم اليوم أحدًا على ما كنت عليه، فقد هلك الناس وبدَّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلاّ رجلاً بالموصل وهو على ما كنت عليه فالحق به.

فلما مات وغُيِّب (دُفن) لحقتُ بصاحب الموصل، فقلت له يا فلان إنَّ فلانًا أوصانى عند موته أن ألحق بك، وأخبرنى أنَّك على أمْره (مذهبه أو اتجاهه الدينى). فقال لى أقم عندى، فأقمتُ عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه (على مذهب صاحبه وتقواه) فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاةُ قلتُ: يا فلان: إنَّ فلانًا أوصى بى إليك وأمرنى باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصى بى؟ وبم

تأمرنى؟ قال يا بنى والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنّا عليه إلاَّ رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحَقْ به، فلما مات وغُيِّب (دفن) لحقتُ بصاحب نصيبين، فأخبرتهُ بأمرى وما أمرنى به صاحباى. فقال أقم عندى، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حُضِرَ (بدأ يحتضر) قلتُ له: يا فلان.. إلى مَنْ توصى بى؟ وبم تأمرنى؟ قال يا بنى، والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلاّ رجلاً بعمورية من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببتَ فأته، فإنه على أمرنا.

فلما مات وغُيِّب (أى دفن) لحقتُ بصاحب عمورّية، فأخبرتهُ خبرى، فقال: أقم عندى فأقمت عند خير رجل على هَدْى أصحابه وأمرهم، واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغُنَيْمة. ثم نزل به أمر الله، فلما حضر (حضرته الوفاة)... قلت له يا فلان إلى من توصى بى؟ وبم تأمرنى؟ قال: والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظلَّ زمانُ نبى وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام يخرج من أرض العرب، مُهاجره (أى مكان هجرته) إلى أرض بين حرَّتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصّدقة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل» [ابن هشام، جـ٢، ص ص٤٢ـ ٤٤].

***

لسبب ـ ربما كان مفهومًا ـ لم تُوضح كتب السيرة أو كتب التاريخ العام، العقائد الدينية المسيحية التى عاينها سلمان قبل أن يتجه إلى تيماء فالمدينة المنورة، بحثًا عن النبى الذى أشارت إليه النبوءات الكتابية السَّابقة والتى عاينها ـ أى سلمان ـ عند مرافقته للرهبان لفترة طويلة، ومعايشته لهم وتعبّده على نَهْجهم، ومن المعروف أن حياة الرهبان لا تخلو من الدراسة اللاهوتية، فالأديرة كانت دائمًا وظلت طوال العصور الوسطى، بل وربما إلى الآن مخزنًا للكتب الدينية خاصة، ومركزًا للدراسات اللاهوتية خاصة الدينية عامة، بل وحتى مركزًا للدراسات فى بعض المجالات غير الدينية.

لا بد إذًا من تتبع المسيحية فى الأماكن التى تردَّد عليها سلمان قبل أن يدخل فى الدين الحنيف الذى بشَّرت به الديانات السابقة عليه. وهذه الأماكن هى: أصبهان (قرية جىّ) ودمشق والموصل ونصيبين وعمّورية (على وفق رواية ابن هشام)

وهذا يتطلب منا العودة إلى ما قبل القرن السادس الميلادى، لمعرفة جذور الخلافات المذهبية المسيحية وإلى أىِّ مدى أثرت فى فكر سلمان فجعلته يقبل الإسلام بلا مشاكل بعد أن هدَّته الخلافات المذهبية المسيحية. كانت حركة سلمان قبل وصوله المدينة (المنورة) فى انتظار قدوم النبى الذى بشَّرت به الكتب السماوية السَّابقة ـ فى رحاب الدولة البيزنطية، فلنرجع إذًا إلى أحد الكتب التى تناولت تاريخ هذه الدولة، وليكن رجوعنا للكتاب المهم الذى ألفه السيد الباز العرينى رحمه الله [الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٢م].

بداية العصر البيزنطى تتمثَّل فى انتقال العاصمة السياسية للإمبراطورية إلى الشرق المتأثِّر بالحضارة اليونانية، كما تتمثل فى انتصار المسيحية على الوثنية، ولفظ (البيزنطية) نسبة إلى بيزنطة لفظ لم يكن يعرفه أهله، فالبيزنطيون كانوا يعتبرون أنفسهم لفترة طويلة رومانًا (رومًا).

وظل الإمبراطور البيزنطى محتفظًا بسلطان لا حدَّ له على الكنيسة، فقد كان الإمبراطور البيزنطى هو رأس الكنيسة أيضًا، لكن سرعان ما جرت مصادمات السُّلطتين الدينية (الكنيسة) والدنيوية (الإمبراطور وجهازه).

وكان الإمبراطور قنسطنطين قد اعتنق المسيحية لأسباب سياسية عندما وجدها تنتشر فى أنحاء الإمبراطورية، لكنه وجد الخلافات المذهبية تكاد تتطوَّر إلى نزاعات حربية فدعا إلى عَقْد مجمع فى نيقية (فى آسيا الصغرى) فى سنة ٣٢٥م. لقد ناقش المجمع مذهب آريوس السكندرى الذى أنكر أن يكون المسيح هو الله واعتبر المسيح مخلوقًا (وليس من جوهر الأب أى الله)، وقد أعلن مجمع نيقيَّة بطلان مذهب آريوس مؤكدًا على العقيدة الأقرب للوثنية وهو أن المسيح هو نفسه الله، ولأن الإمبراطور هو رأس الكنيسة فهو إذًا ممثل للّه الذى هو المسيح المجسَّد المعروف، وكانت هذه الفكرة مريحة سياسيّا وقتها، إذ أمدّت الاستبداد الإمبراطورى بتأييد قوى. إلاّ أنَّ مجمع نيقية وغيره لم يستطع القضاء على الآريوسيَّة، فانتشرت الآريوسية انتشارًا كبيرًا فى الشرق (أى فى الأماكن التى كان سلمان يتردَّد عليها)، بل وتسرَّبت إلى دوائر القصر الإمبراطورى التى طالبت بالعفو عن آريوس وإعادته إلى كنيسته إلاَّ أن إثناسيوس أسقف الإسكندرية تصدَّى لذلك بحزم منذ سنة ٣٢٨م، لكن هذا لم يمنع أحد أبناء قنسطنطين وهو

قنسطنطينوس الذى اختص بحكم الجزء الشرقى من الإمبراطورية من الدفاع عن الآريوسية، وجرت محاولات غير مجدية للتوفيق بين المذاهب لكنها لم تنجح (ما زالت هذه المحاولات قائمة حتى تاريخنا الحديث هذا، وإن كان التوجُّه ينحو نحو الآريوسية). ومات قنسطنطينوس سنة ٣٦١م أثناء حملته على الفرس.

وحدث فى القرن الرابع، أن انتشرت المسيحية بين الفرس فى بابل واكتسيفون (المدائن وهى التى تولَّى سلمان إمارتها بعد ذلك فى عهد عمر بن الخطاب) وجندسابور وأشور وأصبهان (وقد تردّد سلمان بعد ذلك على إحدى كنائسها كما يفيدنا ابن هشام) ونظرًا لقوة الآريوسية عُقد مجمع دينى ثان سنة ٣٨١م فى القسطنطينية أعاد إدانة الآريوسية وأكد على ألوهية المسيح وإن أضاف أن الروح القدس منبثق من الأب (وليس الابن).

وفى القرن الخامس، كانت عقيدة التثليث لاتزال مهتزة أمام مذهب آريوس، فعمدت الكنيسة إلى صياغة مذهبها الدينى على شكل قانون إيمان نصَّ على الصفة الإلهية للمسيح، لكن هذا لم يوقف الاختلافات الدينية؛ إذ ظهر فى أنطاكية فى أواخر القرن الرابع الميلادى، مذهب يشير إلى أنّ الطبيعة الإلهية والبشرية لم تتحدا اتحادًا كاملاً فى المسيح. وتطوّر هذا المذهب إلى محاولة أربابه البرهنة على أنّ للمسيح طبيعة بشرية مكتملة، ونهى هذا المذهب عن تسمية مريم العذراء بوالدة الإله (والدة المسيح)؛ لأنها لم تلد إلهًا بل ولدت إنسانًا. على أنّ هذا المذهب لم يؤد أول الأمر إلى اضطراب فى الكنيسة لأنّه لم يَسُد إلاّ فى دائرة صغيرة من الناس. لكن عندما تولى بطريركية القسطنطينية البطريرك السورى (الشامى) نسطورس، فرض هذا المذهب على الكنيسة واعتبر أن القول بألوهية المسيح هرطقة.. وهاج الناس وإن كان أكثرهم تشددًا ضد نسطورس هو كيرلس بطريرك الإسكندريَّة. وأيَّد المجمع الكنسى المنعقد فى سنة ٤٣١م فى أفيسوس حيث أدان نسطورس وأكد عقيدة مجمع نيقية، ولم تنته المشكلة فحاول مجمع خلقدونية ٤٥١م اتخاذ موقف وسط بين النسطورية وغيرها، لكن هذا لم يحل المشكلة؛ إذ زاد الخلاف بين كنيسة القسطنطينية والكنائس الواقعة فى الجهات الشرقية من الدولة البيزنطية (حيث جال سلمان بعد ذلك)» [السيد الباز العرينى، ص ص٥٠-٥١].

وبعد ذلك اشتدت الأقاليم الشرقية فى مقاومة قرارات مجمع خلقدونية [السيد الباز العرينى ص٩٨] واعتبر جستنيان كل معارضيه الدّينيين من يهود ومسيحيين على غير مذهبه هراطقة .

وفى عصر هرَقْل (٦١٠-٧١٧م) كانت المشكلة الدينية ما زالت قائمة؛ إذ يشير بعض المؤرخين إلى أن ما ساد الشام وفلسطين من أحوال دينية مضطربة يسَّر على الفرس التوغل غربًا، فالمعروف أنَّ معظم السكان لاسيما فى الشام لم يدينوا بالتثليث فى شكله الصارخ (الأرثوذكسى) الذى يجد التأييد من الحكومة المركزيّة، فآثر النساطرة حكم الفرس لتسامحهم معهم [السيد الباز العرينى، ص١١٩] ومن المعروف أنَّ المجوس (الزرادشتيين) كانوا فى الأصل دعاة توحيد، وما دخل فى عبادتهم بعد ذلك من توقير للنيران وغير ذلك، إنما كان دخيلاً مُبْتَدعًا على ديانتهم الأصلية إلا أن هرَقْل انتصر على الفرس، وكان هرَقْل والكنيسة قد حاولا عبثًا التوفيق بين المذاهب المسيحية المختلفة، بالقول بمذهب الإرادة الواحدة للمسيح أى اتفاق إرادتَيه البشرية والإلهية إلاَّ أن الراهب صفرونيوس بطريرك بيت المقدس منذ سنة ٦٣٤م عارض هذا الاتجاه بشدَّة .

هذا الاضطراب الذى شهده سلمان هو الذى يسّر دخوله فى الإسلام، وهذا الاضطراب نفسه «هو الذى زاد الأمر تعقيداً فبدأ استيلاء المسلمين على سوريا (الشام) وفلسطين منذ سنة ٦٣٨م» [السيد الباز العرينى، ص١٣٤] وكان هرقل قد تزوج من ابنة أخته بعد سنة ٦١٢م، وأثار هذا الزواج حنق الشعب المسيحى وحنق الكنيسة؛ إذ إن هذا النوع من الزواج يخالف القانون الكنسى [السيد الباز العرينى، ص١٣٧] وكان هذا بلا شك مظهراً من مظاهر الخروج عن الشريعة يهودية كانت أمْ مسيحية، وهكذا بدأ الخروج عن الشريعة بالإضافة لاضطراب العقيدة وهو ما أشرنا إليه سابقًا . لقد كان ضياع الشريعة المجوسية (الزرادشتية) أحد أسباب انهيار فارس كما أوضحنا فى الفصل الأول، وها هى ذى شريعة العهدين القديم والجديد تتحطم على يد هرقل فكان هذا إيذانًا بالسقوط .

نستطيع أن نجزم إذًا أن سلمان الفارسى رضي الله عنه كان فى مرحلته المسيحية أقرب للآريوسية أو بتعبير آخر أقرب إلى مذهب القائلين ببشرية المسيح، لأن دينه السابق على المسيحية (الزرادشتية) لم يكن يقول بألوهية زرادشت وإنما كان يقول بنبوَّته، ولأن الزرادشتية فى بدايتها كانت من أديان التوحيد الخالص، ولأن الآريوسية كانت منتشرة

فى الشام وفلسطين والعراق، ولأن النساطرة الذين كان لهم وجود فعلى فَصلوا بين الجانب البشرى والجانب الإلهى فى المسيح، وهنا لا بد من وقفة عابرة فيما يتعلق بما ذكره الشهرستانى عن النساطرة [الملل والنحل، بيروت دارالمعرفة، ١٩٨٠م] إذْ تحدث عن أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر زمان المأمون وتصرف فى الأناجيل بحكم رأيه، وقال إنَّ الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة هى: الوجود والعلم والحياة. . . وإن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته (كونه بشرًا) لا على الجانب الإلهى فيه. . . إلخ [ص ص٢٢٤-٢٢٥] **ورغم ما فى أقوال نسطورية عصر المأمون من شبه مع النسطورية السابقة على ذلك والتى عاصرها سلمان الفارسى، إلاَّ أن نسطور عصر المأمون غير نسطور الذى عايش سلمان مذهبه.**

***

وقد أشار الباحث المهتم بتاريخ الأديان، ابن حزم الظاهرى (ت٤٥٦هـ) ـ وهو أندلسى من أصول فارسيّة ـ إلى طوائف مسيحية غير قليلة تُنكر أنَّ يسوع المسيح ابن إله وامرأة أو بتعبير آخر ابن الله من مريم [الفصل بين الملل والأهواء والنحَل، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٦م، جـ١، ص٢٦١وغيرها] وهذا يشير بطَبيعة الحال إلى السبب الكامن وراء تحرى سلمان ومن صحبهم من الرهبان ورجال الدين المسيحى الدِّقة فى اختيار من يرافقهم (أى من يرافقهم سلمان) وهم من المسيحيين الموحِّدين الذين لم يتم القضاء على فكرهم فى أى وقت من الأوقات، هذا رغم تعرض مذهبهم لاضطهاد شديد [عبد الرحمن عبد الله الشيخ: الحركة الأوربية المناهضة للتثليث. الرياض، مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود]

غادر سلمان كل هذا باحثًا عن اليقين، فهيّا نبحث عن اليقين معه.

تسابيح وابتهالات

تركتُ النارَ، فالنار تخبو.

تركتُ النارَ، فإلهى أكبر،

لأعبد ربَّ عيسى،

رَب عيسى الذى ما اتَّخذ صاحبةً ولاوَلدا.

هذا قولُ الرَّاهب الصَّالح

قال: تعالى الله سبحانه

سبحانه ما أعظم شأنه

الراهبُ الصالحُ يخاف الله

كان الإمبراطور يريد إلهًا بشرا

حتى يكون هو الإله بعد ذلك

لا.. لا

لا إله إلاَّ الله

هذا قول الراهب الصالح

قال الراهب الصالح: ياسلمان أفقْ!

أفقتُ

قال الراهب الصالح متسائلاً:

هل أنت ياسلمان ابن الله

قلت: حاشا، فأبى صاحب أرض فى جىّ

أبى سامَ الناس خسفًا!

لكننى أعرفه.. إنه أبى.

قال الراهب الصالح متسائلاً: كيف يكون المرء ابنا لله وله نسب بشرى؟.

هذا محال.

لكن هذا ما يريدون إجبارنا على قوله.
كانت مريم حُبلى من الروح القدُس
ولدت ابنا اسمه يسوع
يخلص الشعب من خطاياهم
يخلصهم ـ يا سلمان ـ أى يهديهم
وُلد يسوع فى بيت لحم
فى عهد هيرودوس وُلد
بشّر المجوس بمقدمه
وجدوه فى بقايا كتبهم
تمامًا كما أبشّرك بالرسول النَّقى
الذى أجده عندى فى التوراة والإنجيل
هيرودوس ـ ياسلمان ـ سعى لقتل المسيح
كما سيسعى الكفار لقتل النبى القادم
لكن اللهَ نجَّى
نجّى ابن مريم
كما سينجّى نبيك الآتى
لقد قال الملاك لراعى عيسى:
قُم واهرب بالصبى وأمه إلى مصر
هرب الصبى وهاجر إلى مصر
كما سيهاجر نبيك القادم إلى المدينة
بل كما سيهاجر أتباع نبيك الآتى إلى أرض مسيحية.. إلى الحبشة
عاد يسوع إلى فلسطين بعد موت هيرودوس.
عاد، كما سيعود نبيك الآتى إلى مكة.
عاد يسوع إلى فلسطين التى أخرج منها.
كما سيعود نبيك الآتى إلى مكة التى أخرج منها.
خشى يسوع أن يعود إلى مكان مولده
فالأعداء كُثُر

فاتجه للناصرة وفيها عاش
كان يحيى المعمدان قد بشَّر
قال يحيى: توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات.
ويقول أتباع نبيك الآتى: طلع البدر علينا
طلع البدر، طلع النور
تظاهر الكَذَبة من أتباع الشريعة الشكلية بالطاعة
أتوا ليحيى ليعمِّدهم
قال يحيى: يا أولاد الأفاعى من أنذركم،
لتهربوا من الغضب الآتى
نعم. أولاد أفاع فالشريعة روح
الشريعة ليست مجرَّد كلمات.
ربنا ألهمنا روح الشريعة
فالأعمال يا ربنا بالنيّات
والقلبُ أصدق
استفت قلبك
ولو أفتوَك
ولو أفتوك.
ولو أفتوك.
أثمروا ثمرًا يليقُ بالتوبة
فكل شجرة لا تثمر ثمرًا جيدًا،
تُقطع وتُطرح فى النار.
خذوا بالأسباب.
لم يُطع يسوعُ الشيطان.
لمُ يلقِ نفسه من فوق الجبل
قال له الشيطان: إنَّ الله يحميك.
لكن يسوع كان يعلم أن إلقاء نفسه من فوق الجبل هلاك.
تلك سنة الله.

والقمحُ يحتاج لزراعة.
والخبز يحتاج لصناعة.
ومع هذا فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.
لم يسجد يسوع للشيطان.
رغم الوعود.
ورغم العهود.
ولن يسجد نبيك الآتى لصنم قط.
توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات.
كان يسوع يشفى المرضى،
بأمر الله.
وكان يبرئ الأكْمه والأبرص،
بإذن الله.
طوبى للودعاء فإنَّهم سيرثون الأرض
طوبى للعطاش إلى البر فسيشبعون
طوبى للرحماء فإنهم سُيرحمون
طوبى للمضطهدين من أجل البر
إذا جئت للصلاة
فتذكرت أنَّ لأخيك شيئًا عليك
فاذهب أولاً وصالح أخاك
احذروا أن تعملوا برَّكم أمام الناس
لا تعلم شمالك ما قدَّمت يمينك
لا يمكن لأحد أن يكون عبدًا لاثنين،
لأنه إما أن يبغض أحدهما فيحب الآخر، وإما أن يَلزَم أحدهما فيهجر الآخر،
لا يمكنكم أن تكونوا عبيدًا لله والمال معًا.
اعرفوا عيوبكم
لماذا نلاحظ القشَّة فى عيون إخواننا،
ولا ننتبه إلى الخشبة الكبيرة فى أعيننا؟!

اسألوا الله يعطكم
واطلبوا منه تجدوا
عملكم الصالح يظهر
من ثمارهم تعرفونهم
هل يُجْتَنى من الشّوك عنب
أو من العلّيق تين؟!
هكذا كل ثمرة جيدة تُثمر ثمرًا جيدًا
أما الشجرة الرديئة فتثمر ثمرًا رديئًا.
وكل شجرة لاتُثمر ثمرًا جيدًا.
تُلقى وتُطرح فى النار.
إذًا من ثمارهم تعرفونهم.
كلمة طيبة كشجرة طيبة،
أصلها ثابت وفرعها فى السماء.
روح العمل، وروح الشريعة.
فللشريعة أيضًا روح.
للشريعة روح أيها الفريسيّون.
لقد كسر داود حُرْمَةَ السبت.
حين جاع مع مرافقيه.
لقد أكل خبزَ القربان.
لو فهمتم معنى القول،
لعرفتم أنَّ للشريعة روحًا.
فبيتُ الله مقدَّس.
وإخراج أهله منه أكبر عند الله.
ومن قال لأبيه وأمه: إنَّ ما أعولك به قد قدَّمته قربانًا للهيكل أو تقربًا إلى الله
من قال هذا فهو كذّاب.
رعايتك والديك لا تقل أهمية عن تقديم القربان.
لا تقتل.

لا تزن .

لا تسرق .

لا تشهد الزور .

أكرم أباك وأمك .

وأحب قريبك كنفسك .

والغنى كانزُ المال لاينفع به أحدًا،

لن يدخل ملكوت الله

إلا إذا دخل الجمل من ثقب إبرة .

لن يدخلها،

إلاّ كما يدخل الجمل من سمّ الخياط .

والمصلّون اللصوص،

لن يدخلوا الجنة،

مهما صلّوا ومهما كانت التسابيح،

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى،

فإن لم تنه فهى ليست صلاة .

مكتوب أنَّ بيتى يُدعى بيت الصلاة

أما أنتم فجعلتموه مغارة لصوص .

ليست التسابيح كلمات .

فقد كان لإنسان ولدان،

فقصد أولهما وقال له : ياولدى اذهب اليوم واعمل فى كَرْمى .

فأجاب لا أريد .

لكنه بعد ذلك ندم وذهب .

ثم قصد الرجل ولده الثانى وقال له ماقاله للأوّل .

فأجاب : لبيك، سمعًا وطاعة .

لكنه لم يذهب .

فأى الاثنين عمل بإرادة الله ؟!

إنه الأوَّل وإن لم تدل كلماته على ذلك .

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيّون المراؤون .
فإنكم تُغْلقون ملكوت السماوات فى وجوه الناس ،
فلا أنتم تدخلون،
ولا أنتم تَدعون الداخلين يدخلون .
الويل لكم .
فإنكم تلتهمون بيوت الأرامل ،
وتتذرّعون بإطالة صلواتكم .
الويل لكم .
لقد أهملتم أهم ما فى الشريعة : العدل والرحمة والأمانة .
الويل لكم .
إنكم تُدقّقون فى الأمر البسيط ،
لكنكم تبلعون جملاً .
الويل لكم .
إنكم تبدون للناس أبرارًا،
لكنكم من الداخل ممتلئون رياء وفسقًا
فللشريعة روح .
للشريعة روح .
للشريعة روح .
بثُّها فينا يا ربَّ الشريعة .
ونجِّنا من القوم الظالمين .

ملحق الفصل الثانى

دراسة أعدَّها المستشرق ج. ديفز، محاضر اللاَّهوت فى جامعة برمنجهام عن الكنيسة الأولى عرضها مؤلف هذا الكتاب، وعلّق عليها، وقد أوردنا بعض الإضافات المقارنة والشارحة، وربطنا ـ عندما يتسنّى الربط ـ بين مسيرة سلمان ووجهة نظر الإسلام من ناحية، وتطور اللاهوت المسيحى من ناحية أخرى

حتى القرن الثانى الميلادى كان المسيحيون يواجهون اتهامًا مؤدَّاه أنَّ المسيحية دين طارئ لاجذور له بعكس الوثنية اليونانية، فكان الرد المسيحى هو التأكيد على ارتباطهم بالتوراة (العهد القديم)، فدينهم جاء ليكملها لا لينقضها. [ولاشك عندى أن اقتناع سلمان الفارسى وغيره من أصحاب الديانات السماوية السابقة بأن الإسلام دين أتى ليصحح الأديان السابقة ويعيد الحياة إلى نصابها الصحيح، كان أهم أسباب تحولهم إلى الإسلام، إنه دين أتى ليصحّح ويعيد عقيدة إبراهيم الخليل الصحيحة، وليس دينًا من ابتداع محمد، ولا هو دين بغير أساس]. وكانت هناك بشارات بقدوم المسيح فى التوراة وكانت هناك بشارة يوحنا (يحيى) بقدومه، وقد ركّز المسيحيون على هذا فى معرض الدفاع عن دينهم، وكانت الفكرة الأولى: أن المسيح مبعوث من الله وأنه يأتى بالمعجزات باسم الله وبموافقته، يقول المسيح: «لكن إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» [إنجيل لوقا، الإصحاح ١١، الفقرة ٢٠]. ويقول الباحث اللاهوتى أ. ج رولنسون Rolenson: إن المسيح لم ينخرط علنًا فى أمور لاهوتية متعلقة بشخصه، وإن كان يعتبر نفسه فى علاقة توحد مع الله، ولكنه لم يقل علنا إنه هو الله [يفهم من هذا أن اللاهوت المتعلق بشخص المسيح أتى بعده ولم يكن على لسانه].

ومن أقوال يسوع التى يعترف فيها أنه ليس الله وأن مشيئة الله فوق مشيئته «يا أبا . . كلّ شىء مُستطاع لك (أى أنت على كل شىء قدير) فأجز عنى هذه الكأس (نجّنى منها) ولكن ليكن لا ما أريد بل ما تريد أنت» [مرقس ١٤/ ٣٦] .

انشغل أتباع المسيح بعد موته بثلاث قضايا لاهوتية :

ـ القيامة ، أى قيامة المسيح بعد موته ، وصعوده للسماء (مفهوم أن الرأى الشائع بين المسلمين أنه رفع إلى السماء مباشرة ولم يصلب) .

ـ الروح القدس وتسلمها للسلطان المقدّس ، وغَمْر هذه الروح للعالم بعد صعود المسيح .

ـ عودة المسيح السريعة ، وهى أصعب القضايا فهمًا [ولم يُشر القرآن الكريم لعودة المسيح ، لكن التراث الدينى الإسلامى يؤكّد ذلك ، أما عن صعود المسيح إلى السماء فهو أمر أكّده القرآن الكريم ، ليصبح الخلاف بين المسيحية والإسلام فى هذه المسألة شكليّا فالمسيحية تقول : إنه رُفع بعد أن صُلب ، فأحياه الله ورفعه ، ويقول المسلمون : إن الله رفعه ولم يُصلب . . إذًا لم يبتعد سلمان كثيراً عن تراثه السابق ، وإنما انتقل إلى فكر دينى أوضح] . ورغم أنه يعزى إلى القديس بولس الكثير من الأقوال عن لاهوت المسيح إلا أن الباحثين انتهوا إلى أنه ـ أى القديس بولس ـ «لايذكر فى أىّ موضع أنّ المسيح هو الله إلاّ أنه يمكن القول إنه فيه ـ أى فى المسيح ـ يحل كلّ ملء اللاهوت جسديّا» [رسالة بولس إلى أهل كولوسى ، إصحاح ٤ ، فقرة٩] .

وعقيدة التثليث ليست فى صلب المسيحية ، فالباحث ديڤر الذى نعرض مبحثه يقول إنه : «لم يهتم من أتى بعد الرسل (الدعاة الأوائل للمسيحية) اهتمامًا مباشراً ببحث مسألة العلاقة بين الأب والابن والروح القدس ، وإنما اهتموا فقط بقدسية يسوع المسيح ، وقدسية الروح القدس ولم يذهبوا لأبعد من ذلك ، بل عندما طُرحت المسألة نفسها كانوا يكتفون باستخدام مصطلحات العهد القديم (التوراة وملحقاتها) ، فقد كان مصطلح الابن يستخدم فى العهد القديم لبيان العلاقة بين الله والإنسان ـ أى إنسان ـ فنحن جميعًا عيال الله (أبناؤه)» من الذى قصر البنوّة على المسيح ؟ هذا ما لا ندريه على وجه اليقين .

يقول ديفر عالم اللاهوت « . . . فالصعوبة التى أتت بها عقيدة التثليث هى كيف نتصوّر الله ثلاثة وواحداً فى الوقت نفسه، وهو الأمر الذى يجبرنا على الإيمان به ذلك النشاط الدينى التبشيرى عبْر التاريخ، فإذا نظرنا لهذه المسألة من منظور حسابى لوجدنا أن حلّها محال، مادامت الوحدة تتناقض رياضيّا مع التعدد، وأكثر من هذا فنحن نجد أن ١+١+١=٣. لكن هناك أنواعًا أخرى من الوحدات غير الوحدات الرياضية وحدات تنطوى على التعدد، ونعنى بذلك على نحو خاص الوحدات العضوية، فالعضوية Organism توحّد عناصر مختلفة فى حياة مفردة، وكلما كان الكائن أرقى كانت وحدته أكثر تعقيداً، وعلى هذا فوحدة الكائن البشرى أكثر تعقيداً من وحدة الأميبا (كائن وحيد الخلية)، فالله يمكن فهمه من وجهة النظر هذه، فوحدته أو واحديته. . . وعلى كل حال فكل أنواع الوحدات المادية أو الأرضية لا يمكن قياسها تمامًا بوحدة الذات الإلهية، ولهذا السبب فعقيدة التثليث ليست فى نطاق فهمنا بشكل كامل. . »

على أن الفكرة التى حققت للمسيحية انتشاراً كبيراً وقتها هى فكرة الخلاص، وإن أثارت بدورها خلافات لاهوتية. والخلاص فكرة تعنى التوسعة والخروج إلى الرحابة، والتحرر من المحدوديات، وتعنى النجاة من خطر داهم، والخلاص فى المسيحية هبة مجّانية من الله البار للخاطئ غير المستحق، بفداء المسيح له (للخاطئ أو الخاطئين) الذى فداه بموته وبرّره بقيامته. وهى فكرة مريحة أدّت للدخول إلى المسيحية لكنها جددت الخلافات القديمة حول طبيعة المسيح، فقد اعتبر آريوس وأتباعه أن المسيح بشر يخلّص بهدايته البشر ويرفع أمرهم لله، بينما قال أعداؤه أن المخلّص لا بد أن يكون إلهًا وإنسانًا فى آن واحد.

وعقد نسطورس موازنة بين خلق آدم وخلق المسيح، فآدم الثانى (أى المسيح) كان فى رحم عذراء، لكن الرأى الرسمى كان هو التأكيد على عقيدة التثليث (مجمع خلقدونية ٤٥١م). «وفى الغرب حيث كانت معانى النظام والقانون والسلطة الإمبراطورية قوية، مال المسيحيون إلى التركيز على تعريفات بسيطة وواضحة أكثر من تركيزهم على الصياغات المعقدة؛ لذا فقد فسّروا الخلاص فى الأساس بمصطلحات قانونية legal، فالخطيئة بالنسبة لهم هى جريمة ضد الله تَتَطَلَّب إرضاءه (بالتكفير عن الخطيئة)، لكن الإنسان غير قادر على تقديم الكفارة Satisfaction اللازمة؛ لذا فهو خاضع للإدانة الإلهية التى لامفر منها إلا إذا تدخّل الله نفسه وبرّر قانونه (شريعته)

Vindcates ودفع الديون عن المدينين. هذا هو بالضبط ـ وفقا لما يقوله الغربيون ـ ما فعله الله فى شخص المسيح. إنّه ـ أى المسيح ـ الذى حمل أوزار البشر على كاهله وقدّم نفسه بكامل رغبته فداء أو ضحية باسم الإنسان أو نيابة عن الإنسان On man`s be-half. . . وعلى هذا فالخلاص يعنى فى الأساس غفران الخطايا من خلال الموت الانتصارى والفدائى للرب الإنسان. . ». [وقد وجد سلمان حلا أسهل لهذه المشكلة فى الإسلام فكل إنسان مسئول عن عمله، ولا تزر وازرة وزر أخرى، والله سبحانه يحاسبنا يوم القيامة بعدله وفضله، ومن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره. وكان سلمان يردد دائمًا: إنما الخير والشر بعد ذلك، أى يوم الحساب].

أما فى الكنائس الشرقية، فإن الاتجاهات المختلفة لمدرستى أنطاكية والإسكندرية فيما يَخُص العقائد المتعلّقة بشخص المسيح، قد تمت مراعاتها مرة أخرى، فالمدرسة الأولى (الأنطاكية) أخذت بأن حالة التحول والتغير والدّنس التى أصابت الإنسان إنما هى نتيجة لعدم طاعته لإرادة الله، ولإعادة الثبات والنظام كان هناك حاجة لمرحلة جديدة فى تاريخ العالم تتضمن خلق إنسان جديد new man يمكن أن يعيش فى حالة طاعة كاملة لله. ولأن الإنسان المذنب (ذا الخطيئة) لايمكنه أن يُنجز ذلك وحده، فلا بد أن يتدخّل الله وأن يخلق إنسانًا جديدًا يوحّده معه ليعمل معه وفقًا لمشيئته ـ أى مشيئة الله. وعند التجسّد وحّد المسيح فى نفسه وأكمل طاعته بصلبه وانتصر على الخطيئة والموت بقيامه.

وإذا كان الغرب قد ركّز على الصليب وركّز الأنطاكيون على القيامة، فقد ركز السكندريون على التجسد. . ؛ لذا فقد عنى الخلاص التخلص مما لحق بهذه الطبيعة البشرية من فساد. . فبالتجسد تخلص الإنسان مما اعترى طبيعته من فساد على حد رؤية المدرسة السكندرية».

وينتهى الباحث ديفر إلى القول بأنه «لم تكن هناك طريقة واحدة لتفسير الخلاص بشكل مقبول، ولم تكن فكرة الخلاص مفهومة بشكل كاف، فتجربة التكفير أو آلام المسيح وموته atonement كانت معقدة جدّا. . فرغم أن فكرة الخلاص فكرة أصبحت أساسية فى التعاليم المسيحية، إلا أنها لم تكن مفهومة فى أى وقت من الأوقات» [وما لسلمان وهذا كله، فالله خلق الإنسان وقد هداه السبيل: إما شاكرًا وإما كفورًا لا

علاقة له بما ارتكب أسلافه من آثام، وخلاص الإنسان بيده، دون إغفال عفو الله وفضله وعدله]، ثم يتعرض ديفر لطرق العبادة المسيحية مركزا على التعميد (أو العماد) والعشاء الرباني، وفى وسعنا القول: إن سلمان وجد فى الإسلام تعميداً يوميّا بل خمس مرات فى اليوم يتوضأ فيها بالماء الطاهر ووجد أنه يأكل كل يوم باسم الله.

[لقد وجدت السلطات الكنسية فى خاتمة المطاف ضرورة تحويل العقيدة المسيحية إلى مجموعة قوانين عُرفت بقانون الإيمان تحاشيًا للخلافات الحادة التى لم تنته إلى الآن رغم قوانين الإيمان هذه. وأصبح التوجه العام فى الدنيا كلها يميل إلى أن الله واحد لا شريك له دون غوص فى أية تفاصيل غير علمية. وإلى هذا ركن سلمان واطمأن قلبه. لقد وجد أخيراً ما كان يبحث عنه]. لكن ألم يعايش سلمان اليهودية ؟ بلى لقد عايشها دينًا اختلط بالمسيحية واختلط قبل ذلك بالزرادشتية. وعايشها من خلال عمله مع يهودى من بنى قريظة قبل أن يسمع بالنبى ﷺ ويدخل فى الدين الحنيف. وهذا هو موضوع الفصل التالى.

❊ ❊ ❊